مجلة علوم الأداء الرياضي
المجلد (05)/ العدد (01) سبتمبر 2023/ الصفحات: 82 – 104
ISSN : 2676-1823- EISSN : 2773-4447

الفروسية وسباقات الخيول في الحضارة الإسلامية

Equestrian and horse racing in Islamic civilization

- بن محمد أحمد[1]،
[1] a.benmohamed@univ-soukahras.dz، جامعة سوق أهراس ، الجزائر

تاريخ الارسال:2023/08/25	تاريخ القبول: 2023/08/31	تاريخ النشر: 2023/09/09

ملخص الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى التقصي التاريخي عن ماهية الفروسية وسباقات الخيل في الحضارة الإسلامية والعالم الغربي آنذاك، وعن طريق استخدام المنهج الوصفي والتاريخي، واختيار عينة من أشهر مؤلفات الغربيين والعرب الذين كتبوا عن هذه الرياضة في زمن الحضارة الإسلامية، فقد خلُصت الدراسة إلى أن منظور العالم الغربي نمطي وسلبي اتجاه الفروسية في العالم العربي والإسلامي، وبأن الفروسية في زمن الحضارة الإسلامية كانت في أوجها وبشكل متطور جدا.

الكلمات الدالة: الفروسية؛ سباقات الخيول؛ الحضارة الإسلامية.

Abstract:

This study aims to historically investigate the nature of equestrian and horse racing in the Islamic civilization and the Western world at the time, and by using the descriptive and historical method, and selecting a sample of the most famous Western and Arab literature who wrote about this sport in the time of Islamic civilization, the study concluded that the perspective of the Western world Stereotypical and negative attitude towards horsemanship in the Arab and Islamic world, and

that horsemanship in the time of Islamic civilization was at its height, in an organized and very developed manner.

***-key words** : equestrian; horse racing; Islamic civilization*

1. مقدمة:

في وقتنا المعاصر نجد أننا لطالما تطرقنا لموضوع فلسفة النشاط البدني الرياضي لدى الإغريق وغيرهم من الحضارات، ففي أثينا ارتبطت الرياضة بفلسفة الجسد، وفي أسبرطة ارتبطت فلسفة الرياضة بمفهوم الحرب، غير أن القليلين منا تحدث عن فلسفة النشاط البدني في الحضارة الإسلامية، فالفلسفة التي نتداولها كثيرا ما تُركز على أن فلسفة النشاط الرياضي لدى الغرب، ولكن، قلما نجد من الباحثين من يتطرق لمفاهيم وفلسفة النشاط الرياضي لدى المسلمين خلال ازدهار الحضارة الإسلامية على الرغم من نبوغهم في هذا المجال.

هذه الأخيرة، نجد فيها أن الحضارة الإسلامية زاخرة بالتأليف في مجال الرياضة عموما، فالفكر الصوفي مثلا تحدث عن الرياضة الروحية، والمحدثون والفقهاء لطالما بحثوا في تفسير وشرح مفاهيم السبق والرهان وشروطهما..إلخ، وهما المفهومان اللذان يرتبطان برياضة الفروسية وسباق الخيل، ناهيك عن المواضيع الأخرى التي تحدثوا فيها بإسهاب عن الرياضة بعمومها. وبما أن الفروسية وسباقات الخيول كانت ولا تزال من أهم الرياضات التي يصفها المؤرخون برياضة الملوك، خاصة إذا علمنا ما لها من دلالات خلال كافة الحضارات التي ميزت التاريخ البشري، وحتى يومنا هذا يرى الكثير من الباحثين بأنها ماتزال كذلك، خاصة إذا علمنا تغيير عديد قوانين وتشريعات ممارستها والمنافسة فيها بالشكل الذي يحد من ممارستها من طرف العامة من جهة، ناهيك عن التكاليف الباهضة التي تستدعيها رعاية الخيول بشكل عام. ومما لاشك فيه طبعا أننا نحن المسلمون كثيرا ما نعتز بالفروسية العربية التي يزخر بها تاريخنا الإسلامي، سواء سير الأعلام والأبطال المسلمين أو المؤلفات العربية التي كتبها وأبدع فيها المسلمون خلال الحضارة الإسلامية، غير أنه في الوقت الذي نتقصى فيه كتب التاريخ الغربية بالدرجة الأولى فإننا نجد أن الكثير من

مؤلفي الغرب يتحاشون أي معلومة تخص موضوع الفروسية وسباقات الخيل خلال الحضارة الإسلامية، فالعالم الغربي ذاته لم يعرف العلاقة بين الإسلام والرياضة من خلال المؤلفات الغربية التي عملت على طمس أي معالم للعلاقة بينهما.

هذا التساؤل على بساطته، يعتبر نافذة حقيقية على مدى اعتراف الغرب بالحضارة الإسلامية بعموم تأثيراتها على كافة مناحي الحياة التي نعيشها اليوم ويعرفها العالم الغربي عن طريقه بالدرجة الأولى، ومن جهة ثانية فإن موضوع رياضة الفروسية وسباقات الخيول التي آلت كل منافساتها إلى العالم الغربي بدرجة خاصة، وبطريقة تُعبر للأسف عن بُعد العالم العربي والإسلامي عن ممارستها والتفوق فيها، في الوقت الذي نعتقد فيه بالعكس إذا ما رجعنا إلى تاريخ الفروسية وسباقات الخيل خلال الحضارة الإسلامية، ولأجل ذلك فإن إشكاليتنا تنطلق مما يلي:

ماهية الفروسية وسباقات الخيل خلال الحضارة الإسلامية آنذاك؟

ولأجل بحث هذه الإشكالية، فإننا ننطلق من التساؤلات الآتية:

1. ماهية منظور العالم الغربي للفروسية في العالم العربي والإسلامي؟
2. هل بَرَعَ المسلمون زمن الحضارة الإسلامية في الفروسية مقارنة بالشعوب الأخرى آنذاك؟

2. منهج الدراسة:

من جهة نعتمد على المنهج الوصفي كوننا نهدف في هذه الدراسة إلى وصف واستقصاء ماهية سباقات الخيول في الحضارة الإسلامية ومقارنتها بالعالم الغربي، وهذا باستقصاء ووصف مايقوله الغرب عن الفروسية في العالم الإسلامي عموما. ومن جهة ثانية فإننا سنعتمد على أسلوب تحليل المضمون بهدف تحليل ونقد ماقاله المؤلفون الغربيون بالدرجة الأولى حول موضوع دراستنا هذه.أيضا وبما أن دراستنا هذه تاريخية بحتة فإننا سنعمد أيضا إلى الاستعانة بالمنهج التاريخي، وهذا من خلال تقصي المؤلفات والمصادر التاريخية بالدرجة الأولى التي تطرقت لموضوعنا، بما فيها المراجع الحديثة وكذا الهيئات الدولية التي وثقت لرياضة سباقات الخيل والفروسية.

3. الخلفية النظرية التاريخية:

1.3. الجذور التاريخية لترويض الخيول:

إن الباحث في التاريخ البشري عن الحضارة الأولى التي استطاعت أن تُروِّضَ الخيول سَيَتيهُ بين مؤلفات الباحثين التي يحاول كلٌ منهم نَسبَ فكرة ترويض الخيول إلى حضارة أكثر من أخرى، فالباحث يجد أن الكثير من المؤلفين الغربيين بالدرجة الأولى –خاصة في القرون الماضية– يربطون فكرة ترويض الخيول إلى الحضارة اليونانية، ففي موقع اللجنة الأولمبية الدولية وهي المشرفة على الألعاب الأولمبية في العالم تقول عن رياضة الفروسية الآتي: "تعود تقاليد ترويض الخيول العريقة والنابضة بالحياة إلى اليونان القديمة.. –إذ أنه– منذ حوالي 2000 عام، أدرك الإغريقيون القدامى أن التعاون بين الفارس وفرسه هو السبيل الوحيد للنجاة من الموت في المعارك وأن التعاون الكامل بينهما ضروري للغاية. لذا اعتمدوا طريقة ترويض الخيول لتدريبها على الحروب"، هذه المعلومة يقدمها موقع olympics.com والذي يتبنى مفهوم الترويض المناقض لرؤيتنا.

على العكس مما سبق نجد أحد الباحثين الغربيين ينسب ما نُسِب للإغريق إلى الحضارة الليبية قبل الميلاد، إذ يقول: "لدينا من سلطة هيرودوت أن الإغريق تعلموا من الليبيين أن يربطوا أربعة خيول بمركبة، ونحن نعلم بالفعل ذلك قبل زمن هيرودوت، الذي كتب في القرن الخامس قبل الميلاد وجد الإغريق ليبيين يركبون خيولاً منفرجًا ويقودون أحيانًا عربات بحصانين وأحيانًا بأربعة خيول"(Basil, 1908, p21)، وهذا ما يؤكده مؤلف آخر بقوله: "منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، أرسل الليبيون كلًا من الخيول والفروسية إلى اليونان. استمرت أفضل الخيول في القدوم بشكل مباشر أو غير مباشر من إفريقيا".(بوكهارت، 2007، ص12)

من ناحية أخرى، يُرجع الكثيرون ترويض الخيل ووجوده إلى حضارات الشرق القديمة، "إذ يرى البعض أن الآكديين – حضارة بعد الحضارة السومرية– جلبوا الخيل معهم الى بلاد ما بين النهرين بحلول الألف الثالث قبل الميلاد، بدليل العثور في بابل على بعض القطع الأثرية المتعلقة بالخيل منها تحفة نحاسية نحت عليها صورة حصان صغير عرضت بحوالي 2300 ق.م)، فيما يرى فريق آخر من الباحثين أن الحصان دخل العراق من حدوده الشمالية الشرقية خلال الألف الثاني

ق.م بدليل وصف السومريون للحصان بـ: 'حمار الجبل'، وهو نفس ما يشير إلى الجهة التي قدم منها الحصان وهي المناطق الجبلية التي تقع شمال شرق وادي الرافدين بدليل أن أقدم الرسوم المؤرخة للخيول التي يقلها الفرسان في بلاد بابل لا تتجاوز عام 2000 ق.م"(المسيباوي، 2020، ص16-17). ويُرجع الآخرون ترويض الخيول إلى الهكسوس بناءً على تحكمهم فيها، حيث: "وصل الحصان والعربة الحربية إلى أوروبا الشرقية وشمال إفريقيا قبل 1500 قبل الميلاد بقليل. لقد جاؤوا مع الهكسوس(Hyksôs، 1500 -1838 ق م)، الغزاة الغامضين الذين امتلكوا نفوذًا على شرق البحر الأبيض المتوسط، ففي الأسرة الثامنة عشر ظهرت العربة التي يجرها حصان في الفن الضخم المصري. إذ تزخر: Tablets of Knossos برؤوس الخيول، المركبات، العجلات، والسياط"(بوركهارت، 2007، ص9).

أيضا، يستدل فريق من الباحثين بالطقوس التي يرونها دليلا على ترويض الخيول، ففي مملكة قورش (Cyrus) الفارسية نجد أن: "طابور كسركسيس(Xerxes) عام 480 ق،م كانت به العربة المقدسة لزيوس تجرها ثمانية خيول بيضاء. وقائد للعربة يسير على قدميه خلفهم يمسك باللجام ..وفي المقدمة المذبح الفضي الذي يحمل النار التي يدعونها مقدسة, بعد ذلك يأتي المجوس ينشدون ترانيمهم المعتادة. وهؤلاء كانوا يتبعون بثلاثمائة وخمسة وستين من الرجال الشبان بالأرواب القرمزية يتساوون في العدد مع عدد أيام السنة بالكامل، بعد ذلك الخيول البيضاء تجر العربة الخاصة بـ: Jupiter، بعد ذلك تأتي الخيول ذات الحجم غير العادي التي يطلق عليها جواد الشمس"(بريانت، 2015، ص54).

أخيرا، وكما ذكرنا في البداية، فإن موضوع ترويض الخيل والبحث في أصل تواجدها بقي ولايزال لغزا للكثير من الباحثين والمؤرخين، غير أنه يمكننا تلخيص آرائهم في موطنها الأصلي كالآتي: "بعض الباحثين يرى أن موطن الخيل الأصلي القارة الأمريكية، وأنها قبل انقراضها نزحت إلى روسيا، ومنهم من يرجح أن موطنها الأصلي أواسط آسيا ومنها انتشرت إلى بقاع العالم. وهناك آراء لبعض الباحثين تذكر أن الموطن الأصلي للخيول العربية هو شبه الجزيرة العربية وبالتحديد نجد، ومن هذه المنطقة انتقلت إلى مصر عن طريق الهكسوس. وهناك رأي معاكس لهذا الرأي يذكر أن الخيل نشأت خارج الجزيرة العربية ونزحت إلى سوريا من الشمال الغربي لبلاد

مابين النهرين ومنها انتقلت إلى مصر والجزيرة العربية. ويرى بعض الباحثين أن أول من استأنس الخيل هم القبائل القاطنة بأواسط آسيا ونقلها الحثيون إلى سوريا ومنها انتقلت إلى شبه الجزيرة العربية"(الجيدة، 2007، ص21).

2.3. سباقات الخيول والرياضة:

مثلما اختلف الباحثون والمؤرخون عن أولى الحضارات التي قامت بترويض الخيول وتدريبها، فإنهم اختلفوا أيضا عمن يُنسب إليه خلق وابتكار رياضة الفروسية وسباق الخيل بوصفهما رياضة في حد ذاتها، وفي الوقت الذي قام فيه مجموعة من المؤرخين بالاستناد إلى وثائق ومخطوطات وآثار معينة، ذهب آخرون واستندوا في أقوالهم إلى مؤرخين قدماء مثل هيرودوت، ففي موقع اللجنة الأولمبية الدولية (olympics.com) نجد أنه قد: "ظهر الحصان للمرة الأولى في الألعاب الأولمبية القديمة عام 680 قبل الميلاد عندما تم تقديم سباق العربات، وكان إلى حد بعيد الحدث الأكثر إثارة في الألعاب". هذه الألعاب كانت تجذب الكثير من الناس إليها للفرجة أو المسابقة، ومما لاشك فيه: "أن مثل هذا التجمع يمثل فرصة كبيرة لتحقيق الأرباح الطائلة لسكان المدينة التي تقام فيها الألعاب الأولمبية، فكانت تقام الأسواق الموسمية خلال هذه المهرجانات والدورات التي كانت تعد فرصة لاتعوض بالنسبة للتجار.. وكان تجار الخيول خاصة يستغلون هذه المناسبة لبيع خيولهم بأسعار مرتفعة لشدة الاقبال عليها. لغرض استخدامها للمشاركة بها في سباق العربات وسباق الخيول، إضافة إلى أولئك الذين كانت لديهم هواية اقتناء الخيول دون المشاركة بها في السباقات والألعاب"(الجبالي، 2010، ص10-11).

أيضا نجد أحد المؤلفين الغربيين يقول في معرض حديثه عن إحدى النكت أو الطرائف التاريخية أنه قد: "انتشر حب الخيول والسباقات من صقلية شمالاً، كانت سيباريس 'Sybaris' مركزًا بارزًا وقد قام السيباريون بتدريب خيولهم على النهوض على أرجلهم الخلفية والرقص على أنغام معينة، وفي عام 510 ق،م اكتشف جواسيس من عدوهم كروتونا ذلك. فعزف عازفو الفلوت الأعداء إحدى الألحان قبل المعركة، فأخذت الخيول بالرقص وسقط الفرسان وتم تدمير

سيباريس. ووفقًا للتقاليد، تأسست مدينة ثوري 'The city of Thurii' على أنقاض سيباريس عام 443 قبل الميلاد، فأعاد المواطنون إحياء تقاليد السباق والتربية، ومن ثوري تعلم الرومان سباقات الخيل"(بوركهارت، 2007، ص14). هذه السباقات ارتبط إسمها كثيرا بسيرك ماكسيموس في روما، وحول هذه النقطة نجد أحد المؤلفين الغربيين يقول أنه: "تم بناء أول ميدان سباق الخيل في بيزنطة من قبل سبتيموس سيفيروس 'Septimus Severus' قبل عام 200 ميلادي ويتبع تصميمه سيرك ماكسيموس ' 'the Circus Maximus– كانت تقام به رياضات سباق الخيل في روما– لكنه كان أصغر قليلاً"(Roger, 1972, p19). وعلى العكس مما سبق نجد أنه قد: "كان الشمال الغربي هو الجزء الوحيد من الهند حيث يمكن تربية الخيول. ربما في عام 1000 قبل الميلاد، قام الشاعر السنسكريتي من ريج فيدا–the Rig Veda' ' بترنيمة نهر الهندوس المقدس، الذي كان غنيًا بالخيول والمركبات. يمضي في تقديم إشارة منعزلة وفريدة من نوعها لا لُبس فيها إلى السباق: 'لقد قام السند بنقل عربتها الحربية السهلة بالخيول؛ نرجو أن تفوز بجوائز لنا في السباق"(بوركهارت، 2007، ص12).

من ناحية أخرى، إذا جئنا إلى ذكر العصور الوسطى عموما فإننا نجد أن هذه الرياضة لاوجود لها عند الكتاب والمؤرخين الغربيين عموما خاصة قبل القرن العشرين، فلانجد ذكرا لرياضة الفروسية ولا سباقات الخيل التي ارتبطت بالعرب والمسلمين خصوصا، وكأن كتب التاريخ نسيت حضارة إسلامية كانت فيها سباقات الخيل والفروسية جزءا لا يتجزأ من تقاليدها وأعيادها ومناسباتها ورياضاتها الأهم، وإن كانت كتب التاريخ ذكرت الجواد والخيل العربي فقد نسيت الفارس العربي تماما. وعلى العموم فإن المؤلفات الغربية ترى أن هذه الرياضة كانت قبل الميلاد وبعده بقليل، ثم رجعت بعد ثمانية عشر قرنا، ففي موقع اللجنة الأولمبية الدولية (olympics.com) نجد أنه: "بعد اندثار الحضارة اليونانية، سقط ركوب الخيل ببطء من ذاكرة التاريخ لكن أعيد احياؤه في عصر النهضة. في القرن الثامن عشر، بلغ فن الترويض الكلاسيكي ذروته مع تأسيس المدرسة الإسبانية للفروسية عام 1792 في فيينا، التي أرست أسس الاختصاص الحديث". وبخصوص الألعاب الأولمبية الحديثة فإنه حسب موقع اللجنة الأولمبية الدولية: "لم تحقق اللعبة نجاحًا كبيرًا في ألعاب 1896 و1900 و1904 و1908، حتى نسخة

1912 عندما حققت الفروسية النجاح. على مدار العقود القليلة التالية، سيطر الجيش على مسابقة قفز الحواجز، لكن الفرسان المدنيين نجحوا في السيطرة على الاختصاص. من جهة أخرى، مهّد تراجع الفرق العسكرية الطريق أمام الفارسات، اللواتي شاركن للمرة الأولى في مسابقة قفز الحواجز في ألعاب ستوكهولم 1956".

وبالحديث عن دخول رياضة الفروسية وسباق الخيول إلى الألعاب الأولمبية، فإنه مع بداية القرن العشرين تم إنشاء الاتحاد الدولي للفروسية (FEI) الذي مقره لوزان بسويسرا منذ العام 1921، وهذا من طرف ثمان دول كبرى آنذاك هي: بلجيكا، الدانمارك، فرنسا، إيطاليا، اليابان، النرويج، السويد والو م أ، وفي العام 2020 وصل عدد أعضائه إلى 138 اتحادا وطنيا. وإذا ما تفحصنا الرؤساء الأربعة عشر –آخرهم البلجيكي: إنجمار دي فوس Ingmar De Vos– الذين تعاقبوا على رئاسة الاتحاد فإن 13 منهم من الأمراء والبارونات والجنرالات والنافذين في السلطة من جهة، ومن جهة ثانية، فإنه في العام 2006 أُسنِدت رئاسة الاتحاد لأول مرة لشخصية عربية إلى الأميرة هَيَا بنت الحسين (الحسين بن طلال ملك الأردن)، والتي كانت آنذاك زوجة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم عندما كان وليًا للعهد، وهو مالك إسطبلات "غودولفين"–سُميت كذلك تيمنا بأول حصان عربي جُلِب إلى بريطانيا من اليمن في القرن السادس عشر(Godolphin Arabian) البريطانية الشهيرة.

عموما، ارتباط رياضة الفروسية وسباق الخيل بالعرب يبقى معدوما في التوثيق الغربي بالدرجة الأولى، وفي الوقت الذي يذكر فيه الجواد العربي باقتدار فإنه تم تناسي وتجاهل الفارس العربي بطريقة قصدية لاغير حسب رأي الباحثان، فالشخص العربي والمسلم الذي نعرفه نحن، الذي ارتبط إسمه بالفروسية وبترويض الخيل وبسباق الخيل، ودواوين الشعر الجاهلي بدرجة خاصة والتي تزخر بوصف وتعداد ضُلوع العرب في الفروسية...إلخ، ناهيك عن مئات المؤلفات التي برزت خلال الحضارة الإسلامية، كل هذا لاوجود له عند الغرب الذين طمسوا فكرة الفروسية العربية ونَمَّطوها على فكرة البدوي الذي يرعى الجمال، فهو شخص لا باع له في الخيل بقدر ما له من الأموال الطائلة (نمطية الشخص الغربي عن دول الخليج العربي بدرجة خاصة).

4. تحليل النتائج ومناقشتها:

1.4. استقصاء ومناقشة وتحليل الفرضية الأولى:

والتي تناقش حيثية سؤالنا حول: ماهية منظور العالم الغربي للفروسية في العالم العربي والإسلامي؟، وهي الفرضية التي مفادها: منظور العالم الغربي نمطي وسلبي اتجاه الفروسية في العالم العربي والإسلامي. ولأجل بحث واستقصاء هذه الفرضية فإننا نستشهد بالآتي:

مثلما صنعت البروباغاندا الإعلامية الحديثة في العالم الغربي "الإرهابي العربي"، ومثلما تم تنميط الشخص العربي على صفة الشخص الجاهل والأحمق والعنيف، ومثلما تم ربط قصص ألف ليلة وليلة ومظاهرها الخليعة بالشرق العربي والإسلامي..إلخ، فإن العالم الغربي أيضا لا يعرف عن الفروسية العربية أي شيء تماما، فكل ما يعرفه الشخص الغربي عن العرب هو ارتباط اسمهم بالبداوة والجمال..إلخ، وإذا ما قام أي باحث باستطلاع كتب الرحالة الغربيين الذين زاروا البلاد العربية والإسلامية خلال عصر سقوط الحضارة الإسلامية، فإنه سيجد أن المؤلفين والكتاب الغربيين قاموا بمحو أي أثر للفروسية العربية، فهاهو الرحالة السويسري جون لويس بوركهارت – رحالة ومؤرخ سويسري قام برحلته إلى الجزيرة العربية عام 1810 وقام بتأليف كتابين عن رحلته واللذان لم ينشرا إلا عام 1928 (أي بعد قرن من رحلته)- يقول الآتي: "الخيول ليست شائّعة بين العرب على النحو الوارد فى التقارير التى كتبها رحالة متعددون , والتى وردت على على لسان أهل الريف السوريين، الذين لا يعرفون أمور الصحراء معرفة كاملة- ثم يضيف قائلا-: معروف أن العرب ليسوا على المستوى المطلوب مثل الأوروبيين في اختيارهم للحصان، والسبب في ذلك أن العرب يعزون خصائص الحصان الوليد للأم أكثر منها للأب"(بوركهارت، 2007، ص59).

كذلك نجد المؤلف روجر لونغريغ ' Roger Longrigg' الذي كتب عن تاريخ سباقات الخيول يقول الآتي: "لم تكن الجزيرة العربية مهد الحصان، فقد ركب جميع العرب الجمال التي لا تقل شأناً عن الخيول في السرعة. ربما عرفوها من بلاد ما بين النهرين، وقد حسنت بيئة شمال إفريقيا السلالة إلى حد ما والعربي حسّنها أكثر، غير أنه ليس من الواضح على الإطلاق

لماذا ظل ما أكلته الخيول العربية لغزا لماركو بولو ولا يزال كذلك"(Roger, 1972, p22). وعكس ما ذكرناه سابقا، ومثلما قلنا بأن قلة قليلة جدا من المؤلفين الغربيين الذين أنصفوا العرب والمسلمين عموما، فالمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب"، وهو المؤلف الطفرة الذي أنصف العرب والمسلمين، وهو الذي بسبب توجهه هذا تم إقصاؤه من الفكر الغربي السائد، يقول خلال حديثه عن الرياضات التي يمارسها العرب الآتي: "تختلف ألعاب العرب قليلا عما نعرفه في أوربة، فلعبة الشطرنج ولعبة النرد ولعبة الدامة مما ألفه االعرب، والمصارعة والرماية ولعبة الكرة، والمسايفة ولعبة الصولجان مما هو شائع بين العرب، ولعبة الرمح وسباق الخيل من أكثر ما يولع به الأعراب"(لوبون، 2012، ص383).

من جهة أخرى، إن ماذكرناه سابقا لايمثل سوى عينة لاتذكر عما يؤمن به الغرب عنا في موضوع الفروسية وسباق الخيل عموما، وإن كانوا يهتمون كثيرا بالجواد العربي فإنهم يتحاشون تماما ذكر الفارس العربي وأي علاقة تربطه بالفروسية، وإذا ما استدلينا على المؤلفات التي كتبها المسلمون طيلة الحضارة الإسلامية عن الخيل عموما (البيطرة، السير الذاتية...إلخ)، وعن سباقات الخيل التي لاتخلوا كتب المحدثون عنه (كتب الحديث) وكتب الفقه التي تشرح قضاياه (السبق بالخيل، الشروط، الرهان...إلخ) فإن جميع الكتب التي وصلت إلينا كمسلمين لم يتم ذكرها في كثير من مؤلفات الغربيين منها الكتاب الموسوعة الذي ألَّفَهُ هوث فريديريك هنري '(Huth, F. H. (Frederick Henry عام 1887 بعنوان: ' Works on horses and equitation'.

الكتاب الآنف ذكره قام فيه المؤلف بإحصاء بيبلوغرافي لجميع الكتب والمؤلفات التي لها ارتباط بالفروسية، الأحصنة، الخيل...إلخ منذ الحضارة اليونانية وإلى غاية: 1887م. وبتفحص مضامين هذا الكتاب يمككننا سرد الملاحظات الآتية: بخصوص التأليف والنشر بشكل عام فإننا نجد أن أولى الطبعات المنشورة وأكثرها كانت باللغة الفرنسية ثم الإيطالية كانت بداية من القرن الرابع عشر (1500م ومايليها) حتى ولو كان الكِتاب مؤلَّفًا قبل ذلك، وبخصوص بداية التأليف فإننا نجد أن: أول من كتب مؤلفا في هذا الموضوع هو: كيمون أثينا' 'kimon of athens،

((Greek: Κίμων وهو بطل عسكري مشهور في اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد- الذي كتب مؤلفا بعنوان: 'De Arte Veterinaria'، تقريبا عام 430 ق،م. ثم ن نجد مُؤَلَّفَان آخران ظهرا العام 380 ق،م من تأليف: Xenophon بعنوان: ' a treatise on the duties of a commander of cavalry' و' a treatise on the horse'، هذا المؤَلَف الذي يقول عنه المؤلِّف الذي قام بترجمته في القرن التاسع عشر الآتي: "تعتبر دراسة Xenophon عن الفروسية فريدة من نوعها تقريبًا، حتى بعد أكثر من ثلاثة وعشرين قرنًا لا يزال في الأساس دليلًا سليمًا وممتازًا لهذا المجال خاصة مع الطريقة البسيطة والممتعة التي يتم بها معالجة الموضوع"(XENOPHON, 1983, pV).

أما ما شد انتباهنا بخصوص شخوص المؤلفين ذواتهم ومدى ذكر المؤلفات الإسلامية من عدمها، فإننا نجد أن مؤلف كتاب: 'Works on horses and equitation' الذي يتحدث عن المؤلفات الخاصة بالفروسية يذكر أول مؤلف له علاقة بالإسلام بعد ذكر 17 مؤلفا آخر غيره، وهو: عبد الله ابن الصافي "Abd Ullah Ben Safi"، وحسب المؤلِف فإن عبد الله ابن الصافي قام فقط بترجمة كتاب حول الخيول من اللغة السنسكريتية 'Sanskrit' -لغة هندوسية- حوالي عام 1407م، ومن جهة ثانية نلاحظ أيضا أن المؤلِف يذكر محتويات كتاب ابن الصافي في حين أنه لم يذكر محتويات الكتب التي سبقته التي ذكرناها آنفا (17 مُؤَلَّف)، ومن جهة أخرى يمكننا أن نلاحظ بأن ذات المؤلف ذكر ستة مؤلفات فقط مابين: 400م و1407م أي خلال تسعة قرون، هي كالتوالي خلال: 400م، 950م، 950م، 1300م، 1307م، 1318م، 1387م، ليصل إلى عام 1407م وهو الذي ذكر فيه كتاب ابن الصافي، والمعنى وفقا للمؤلف نفسه أنه لا يوجد أي كتاب خلال الحضارة الإسلامية. وإضافة لما سبق، فإنه بعد 1400م، وإذا أجرينا مقارنة بسيطة حسب القرون التي ظهرت فيها تلكم المؤلفات، فإن المؤلِف يذكر 10 كتب أُلِّفت خلال القرن 15 عشر (1400م-1499م) من بينهم كتاب ابن الصافي فقط، ثم خلال القرن 16 عشر (1500م-1599م) يذكر 50 كتابا أُلِّف ليس فيه أي كاتب مسلم، وخلال القرن 17 عشر (1600م-1699م) يذكر 74 كتابا فيهم مؤلف مسلم واحد

فقط هو: 'Abd Ullah Khan Bahadur Firuz Jang'، مع تنويهه بأنه ترجم فقط كتابا حوالي 1650م من اللغة السنسكريتية،

والمعنى مما سبق أن ذكر مساهمات المسلمين في مجال التأليف حول الفروسية والخيل..إلخ يعتبر منعدما وفق ما ذكره المؤلِّف السابق ذكره وغيره من المؤلفين خاصة في القرون الوسطى وحتى القرن 19م من كتب وأعمال ومؤلفات في هذا المجال. وحتى نختم هذه الجزئية لابد من التنويه إلى النقطة الآتية: إذ أنه مثلما ذكرنا آنفا ومن خلال الكتاب السابق فإن التأليف والنشر بشكل عام كان بطبعات نُشر أكثرها باللغة الفرنسية ثم الإيطالية وكان بداية من القرن الرابع عشر (1500م ومايليها) حتى ولو كان الكِتاب مؤلَّفًا قبل ذلك. هذه الحيثية نذكرها لأنه شد انتباهنا معلومة قالها عبد الرحمن إبريق حين تحقيقه في كتاب: "البيطرة كامل الصناعتين, المعروف بالناصري" الذي يعد من أفضل الكتب وأشهرها في العالم الغربي والذي كتبه أبي بكر بن بدر الدين البيطار (1293-1341م). إذ يقول : "هو كتاب موجود في العديد من المكتبات العالمية التى تعتني بالمخطوطات وتمت ترجته الى الفرنسية من قبل 'بيرون' (Perron) - قدمه فروغنر R Froehner باللغة الألمانية واعتبر أن النسخة الفرنسية غير أمينة- اعتمادا على المخطوطة المحفوظة في دار الكتب الوطنية في باريس, وجاءت الترجمة في ثلاثة مجلدات ضخمة، صدر أولها عام 1852.. أما المجلد الثاني فقد صدر عام 1859 وهو في علم الخيل...أما المجلد الثالث فقد صدر عام 1860 وهو في علم البيطرة"(البيطار، 1993، ص61).

وحتى تتضح فكرتنا فإن ارتباط التأليف والنشر باللغة الفرنسية بداية من القرن الرابع عشر، واعتبار فروغنر R Froehner بأن النسخة الفرنسية لكتاب البيطرة السابق ذكره غير أمينة وإعادة ترجمته باللغة الألمانية، كل هذا نضعه نحن تحت علامة استفهام مؤداها هل كانت المؤلفات الفرنسية حول موضوع الفروسية، الخيل، البيطرة...إلخ حقيقية، وهل كانت تراجمهم صحيحة وأمينة، والنقطة الأهم هل حقيقة مؤلفوها فرنسيون أو أوروبيون أم أنهم من أجناس وأمم أخرى بما فيهم العرب.وبناء على ما قلناه سابقا، فإننا نجد بأن فرضيتنا الأولى صحيحة والتي مفادها:

منظور العالم الغربي نمطي وسلبي اتجاه الفروسية في العالم العربي والإسلامي

2.4. استقصاء ومناقشة وتحليل الفرضية الثانية:

والتي تناقش حيثية سؤالنا حول: هل بَرَعَ المسلمون زمن الحضارة الإسلامية في الفروسية وكيف يمكن مقارنتهم بالشعوب الأوروبية آنذاك؟، وهي الفرضية التي مفادها: تطور الفروسية زمن الحضارة الإسلامية بطريقة لا تقارن بالشعوب الأوروبية آنذاك. ولأجل بحث واستقصاء هذه الفرضية فإننا نستشهد بالآتي:

إن الحديث عن الفروسية في العالم العربي والإسلامي ومقارنته بالعالم الغربي، خاصة في الوقت الذي تم فيه طمس أي فكرة تربط علاقة العرب بالفروسية وسباقات الخيل، يعتبر شيئا صعبا إلى حد ما، فغالبية المؤلفين الغربيين ومثلما ذكرنا سابقا تحاشو ذكر تلكم العلاقة. ولعل أول سؤال يتبادر إلى ذهننا هو ماهية العلاقة بين العرب وترويض الحصان، وهل استطاعوا ذلك حقا. وعن هذه الحيثية نجد أن ما يتداوله الباحثون هو الآتي: "انتقال تدجين الخيول في الجزيرة العربية عبر منطقة الشرق القديم–فقد– احتل هذا التساؤل أهمية بين أوساط الدارسين في التاريخ القديم فقد أشار بعضهم أن أول من دجن الحصان هم العراقيون القدامى"(المسيباوي، 2020، ص16–17). هذا التساؤل على تشعبه وصعوبته، نجد إجابته في اعتقادنا كعرب ومسلمين، فنحن العرب دائما لدينا إيمان واعتقاد جازم بأن سيدنا إسماعيل عليه السلام هو أول من قام بترويض الخيل، هذه النقطة بالذات نجد أحد المؤلفين الغربيين يتحدث عنها فيقول: "وفقًا للتقاليد الصحراوية، كان إسماعيل بن إبراهيم هو المروض الأصلي للخيول، وقد كان لدى الإسماعيليين فرس ولَدَت في رحلة، وكانت المهرة غير قادرة على مجاراة القافلة؛ وبناء على ذلك، تم لفها بجلد ماعز وحملها، مما تركها مشوهة في ساقيها، كانت هذه المهرة الفرس العظيم ذو الجذر، كان نسلها بنات العرواج أو الأعوج 'Benat el-A'rvaj, Daughters of the Crooked'، نجت في الصحراء وتوالدت سلالة فرعية مبكرة منها تحت اسم جديد: Kehila of Arabia، وكانت معاصرة للنبي محمد"(Roger, 1972, p22). وحول نفس النقطة، ولكن حول سيدنا إبراهيم عليه السلام نجد مؤلفا غربيا آخر يقول ما مضمونه: "تمت الإشارة بالمصادفة إلى 'خيول إبراهيم' لمؤلف رواية تاريخية نُشرت مؤخرًا.. نحن نعلم من سفر التكوين أنه على الرغم من

أن النبي كان لديه كائنات مجردة: أنواع مُنحت له، ومع ذلك من المحتمل أن الحصان هو واحد من الحيوانات القليلة التي لم يتلقها"(Basil, 1908, p1-2)، وبالطبع ما ذكره آنفا بازيل توزر ' Basil Tozer' في كتابه الخيل في التاريخ، بالنسبة لنا يعتبر تساؤلا عماهيته، وإن كان حديثه عن سيدنا إبراهيم عليه السلام ينتهي بالتعجب، فإننا ومن باب إيماننا بالتحريف الذي طال كتب التوراة والإنجيل، فإننا نعتقد بوجود ارتباط ما وإن شكك فيها المؤلف، وهو الشيء الذي نرى أن أَهلَ الاختصاص – التاريخ بالدرجة الأولى– أَهلٌ منا في دراسته وبحث مضامينه ومقارنته..إلخ.

أما إذا جئنا إلى ذكر ما اَلِف المؤلفون الغربيون ذكره عن العرب، فإنه وكما قلنا سابقا هو الخيل العربية، فالرحالة جون لويس بوركهارت – رحالة ومؤرخ سويسري قام برحلته إلى الجزيرة العربية عام 1810– يقول: "سوريا فيها ثلاث سلالات من الخيول : السلالة العربية الأصيلة النقية, والسلالة التركمانية, ثم السلالة الكردية التي هي خليط من السلالتين السابقتين.. والبدو يحصون خمس سلالات أصيلة من الخيول، ويرون أن هذه السلالات منحدرة على حد قولهم من أفراس النبي صلى الله عليه وسلم الخمس : 'طويسة', و'معنقية', 'كحيل'، و'سقلاوية'، و'جلفة'. هذه السلالات الخمس الأصيلة تنقسم إلى فروع وتشعبات لا حصر لها"(بوركهارت، 2007، ص136). وفي معرض حديثه عن علاقة العرب بالخيل يقول الآتي: "العرب يحتفظون بخيولهم طوال العام فى الهواء الطلق .. الحصان العربى شأنه شأن صاحبه؛ معتاد على تقلبيات فصول العام، وعلى الرغم من ذلك الاهتمام القليل الذى يلقاه هذا الحصان فإنه لا يصيبه المرض إلا نادرا. والعرب لا ينظفون خيولهم أو يفرشونها مطلقا لكنهم يحرصون على تمشية هذه الخيول مشيا هينا بعد أن يركبوها، وسرج الحصان لا يرفع من على ظهره إلا نادرا بعد أن يبدأ العربى امتطاء صهوته (وغاليا ما يكون ذلك فى العام الثانى من عمر الجواد)... والعرب كلهم يركبون الخيول بلا لُجُم يستعملونها فى التحكم فى الحصان؛ ويستعملون 'حَكَمة' بدلا من ذلك اللجام. وينبغي ألا يكون ذلك مدعاة لدهشة القارئ الأوروبى إذا ما عرف أن الحصان العربى عالى المزاج تماما, وأنه خال تماما من الرذائل، بل إن هذا الحصان البدوي صديق لصاحبه... ومع ذلك فإن من عادة العرب ركوب الخيل بلا سرج أو لجام، وعادتهم أيضًا استعمال الحراب والحصان يجرى بأقصى

سرعته؛ وعادتهم فى المحافظة على توازنهم فوق الحصان الراكض منذ الطفولة, هذا كله يعطى العربى جلسة أكثر ثباتا على ظهر الحصان من جلسة العثمانيين الذين يتباهون بها ومع ذلك يظل العثمانى رشيقا فى امتطائه لصهوة جواده"(بوركهارت، 2007، ص141).

من ناحية أخرى، وبالرجوع إلى زمن الخلفاء المسلمين، فإن المسلمين كانت لهم يد طولى وباعٌ في ترويض الخيل وتدريبها وركوبها ...إلخ، فقد: "برع أهل غرناطة في رياضة الفروسية ومصارعة الثيران وصيد البراري، كما اهتموا براحتهم الجسدية والفكرية بمختلف وسائل التسلية والاستمتاع بجمال الطبيعة في أثناء رحلاتهم وتوجههم إلى المتنزهات. وكان لهم أيضًا شأن في المجال الموسيقى، وتعدد آلاتهم الموسيقية دليل على براعتهم في هذا الميدان... وتبين لنا أنهم كانوا على قدر كبير من الوعي الصحي والحرص على نظافة أجسامهم ومساكنهم ومدنهم وقراهم ووقاية أنفسهم من الأمراض الخطرة كالطاعون والجرب وغيرها من الأمراض المعدية"(العيدروس، 2012، ص226). ببساطة كانت في مملكة غرناطة: "رياضة الصيد وسباق الخيل ورمي الجريد من أهم أعمال التسلية...ولعلها تمارين عسكرية مبسطة يتدرب عليها أفراد المجتمع الذي تتطلب ظروفه اليقظة والحذر والبسالة على الدوام"(السامرائي وآخرون، 2000، ص438). كل ما سبق يؤكده برنهارد وإلن ويشو في كتابهما: إسبانيا العربية –الأندلس– إذ يقولان: بعد استسلام إشبيلية كرّس إبن الأحمر في غرناطة: "جهوده خلال الفترة القصيرة الخالية من المعارك إلى تشجيع الصّناعات والتجارة في مملكته ومنح إعفاءات من الضرائب، وقدم جوائز إلى أفضل المزارعين ومربّي الخيول وصانعي الذروع والحائكين وصانعي عدّة الخيل. وهكذا ازدهرت هذه الفنون في مملكته"(ويشو وإلن، 2014، ص369).

إن الفروسية عند المسلمين لم تكن مجرد هواية أو لعبة كما يتم تنميطها في الغرب، فقد: "عكف المسلمون على تدريب خيولهم على أصوات الطبول والأبواق وضجيج المعارك وصيحات القتال، والسير بها في الصخور والجبال والمسالك الوعرة كي تعتاد عليها.. ولقد أطلقت كلمة المصارة Almuzara ..على الفضاء الفسيح المجاور للمدن الكبرى مثل قرطبة وغرناطة ومرسية..إلخ. وعادة ما كانت تقام في هذه الأماكن عروض الجيوش وألعاب الفروسية لتدريب الخيول أي تمصيرها، ولعل كلمة المصارة جاءت من هذا المعنى، أي المكان الذي تدرب او تمصر

فيه الخيل.. ولعل أهمية الخيل تظهر من وثائق الضرائب الجمركية التي كانت تفرض عليها في الصادر والوارد، إذ أنها كانت تزيد كثيرا على الرسوم المفروضة على الرقيق من البشر"(العبادي، 2000، ص37-38).

ولعل أكبر دليل يوضح ما قلناه سابقا هي الرسالة التي نقلها دومينغيت أورتيت و برنارد فينسينت في كتابهما: "تاريخ الموريسكيين"، إذ ذكرا أن أسقف طليطلة بعث رسالة إلى الملك الكاثوليكى فيليبى الثانى يقول فيها: "أتوسل إلى صاحب الجلالة بكل تواضع راجيًا أن يأخذ فى اعتباره احتمال قدوم الأسطول التركى إلى بحارنا مندفعا كما هو فى العادة، وله من الأعوان فى ولاية فالنسيا خمسون ألف مقاتل من حملة البنادق، هذا غير مقاتلي أراغون وغرناطة وهم كثيرو العدد يتحدون فيما بعد جميعًا مع الآخرين الذين يعرفون الطرق بدقة، كيف يكون حال تلك الممالك، خاصة إذا أخذنا فى الاعتبار نقص الخيول والأسلحة والجنود المدربة فى صفوفنا، وهى أمور لا يجهلها الموريسكيون الذين كانوا يعرفون سابقًا كل شيء بدقة"(دومينغيت وبرنارد، 2007، ص86).

إن علاقة المسلمين بالفروسية وإعداد الخيل لم تكن مجرد هواية يهواها المسلمون بل لقد كانت هناك مزارع خاصة لاستيلاد الخيول، وهو المصطلح الذي لم يعرفه الغرب إلا مع قوانين الملك هنري الثالث والتي هدفت إلى إنشاء مزارع استيلاد الخيول، في حين أنه: "تم تطوير نظام مزرعة استيلاد الخيول في إسبانيا المسلمة في وقت مبكر من القرن التّاسع. وخلال حكم الحَكم الأول (822-852) كانت توجد مزرعة كبيرة للخيول ومدرسة لتدريب الفرسان على ضفاف نهر الوادي الكبير في قرطبة يملكها الأمير، وكان له ألفا فرس مرتبطة على شاطىء النهر بإزاء القصر تجمعها داران، على رأس كل دار عشرة عرفاء، تحت يد كل عريف مئة فرس. فالعرفاء يشرفون عليها وتعلق بين أيديهم وينظرون في تعويض ما تعذّر منها لتكون معدّة قائمة لما عسى أن يفجأ من أمر يفزع إليه بها"(ويشو وإلن، 2014، ص384).

وعموما، لقد: "اهتم الأندلسيون ... بتربية الخيول وتدريبها، كما اهتموا بسلامتها وتغطية أجسامها بدروع جلدية أو فولاذية تعرف بالتجافيف، وكثيرا ما فرضت عليهم الدولة فى أوقات

الحروب والأزمات تقديم عدد من الخيول للمساهمة فى الجهاد ... ولقد حرصت الدولة الأموية على الصعيد الرسمي على توفير المراعي الخاصة بإعداد وتربية الخيول فى مختلف أنحاء الأندلس، فيشير العذرى الدلائي الأندلسي إلى أن ساحل تدمير (مرسية) بشرق الأندلس، كان مركزا لتربية الخيل حتى أنه كان يخرج ألف فرس من كل ألوان الخيل في العام"(العبادي، 2000، ص37) . ومن ناحية أخرى: "لم يكن أمر استيلاد وتربية الخيول محصوراً بالسلطان وحده، فقد ذكر ابن حيّان في تأريخه للحرب الأهلية التي استمرت طوال فترة حكم الأمير عبد الله أنه في عام 889 قام قائد يماني كان قد بنى لنفسه قلعة قوية في مقاطعة إشبيلية غير بعيدة عن لبريخا بغزو جزيرة مجاورة (تقع لبريخا قريبا من نهر الوادي الكبير-إسبانيا-) التي كان المنذر عم السلطان يحتفظ فيها بمزرعة لاستيلاد الخيول"(ويشو وإلن، 2014، ص384).

أخيرا.. إذا تحدثنا عن الفروسية عموما، سباق الخيل، الترويض..إلخ لدى الشعوب الأوروبية خاصة في القرون الوسطى، وخلال زمن الحضارة الإسلامية فإننا نجد أن تربية الخيول لم تكن بالصورة التي نتوقعها في البلاد الأوروبية عموما، بل إن الغير متوقع أن نجد أن تفكير الإنسان الأوروبي في زمن مضى كان يرى بأن الخيل كانت تنافس الإنسان على طعامه ومعيشته، أي أن الإنسان الأوروبي كان يرى بأن تربية الخرفان والأبقار أحسن من الخيل لأن الأخير ليس به فائدة تقارن بغيره، "ففي إنجلترا في القرن السادس عشرء لاحظ توماس مور (1478-1535) فى كتابه يوتوبيا أن الحيوان المستأنس الوديع الذي هو الخروف، حيث مراعيه تتسع على حساب حقول نباتات الحبوب، فقد 'التهم البشر' أي حرمهم من طعامهم، بل من عملهم: ألا يكفي راع واحد لرعي الحيوانات على هذه الأرض نفسها التى كانت تحتاج في السابق إلى عدة أيد لفلاحتها ولزراعتها، وفي فرنسا عالج كانتيون (1680-1734) المسألة نفسها: كلما زاد عدد الخيول التي ترعاها دولة من الدول؛ كلما قل الطعام المتاح للسكان؟ إما الخيول أو البشر، ويردد ميسانس هذه الأفكار في عام 1788: إن تزايد محاصيل العلف والعدد الضخم للخيول إنما يؤديان إلى تناقص الأغذية المناسبة لإطعام البشر"(برودل، 2000، ص158).

من ناحية أخرى، إذا تحدثنا عن مزارع استيلاد الخيول التي انتشرت في القرن التاسع الميلادي خلال الحضارة الإسلامية، وقمنا بمقارنة هذا المنهج لدى الأوروبيين فإننا نجد بأن هذه الفكرة جاءت متأخرةإلى أوروبا، حيث نجد أنه: "توجد مجموعة كاملة من القوانين التي صدرت منذ عهد الملك هنري الثالث حتى بداية القرن التاسع عشر والتي هدفت إلى تشجيع وتنظيم مهنة استيلاد وتأصيل الخيل"(ويشو وإلن، 2014، ص384). وبالطبع هذه المزارع لم تكن بالجودة والمردود الذي كان قبلا في الحضارة الإسلامية، ففي كتاب "هوية فرنسا" يقول مؤلفه فرنان برودل الآتي: "وصحيح أن أقاليم فرنسية عديدة كانت تربي الخيول. إلا أنه بالرغم من إنشاء مزارع استيلاد الخيول ((Haute banque الملكية فى عام 1665، لم يكن بوسع فرنسا بعد أن تنتج الكثير من الخيول الجيدة بالفعل. ولذا فقد كان يجري شراؤها من الخارج .... ويتمثل أحد التفاصيل البليغة للحرب النابوليونية في إسبانيا في الإعجاب الذي أعرب عنه الضباط الفرنسيونٍ حيال الجياد الرائعة لخصومهم الإنجليز: ومتى تم الاستيلاء على واحد منهاء فقّد كان يشاد به إشادة رفيعة"(برودل، 2000، ص166).

إذا تحدثنا عن بريطانيا مثلا، فإن أشهر مزارع استيلاد الخيول في العالم حتى سبعينات القرن الماضي كانت مزارع آن بلنت، فقد: "أسست آن Anne مع زوجها مزرعة كرابيت Crabbet لتربية واستيلاد الخيول –فقد– شرعا فى أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر، أو بالأحرى فى العام 1870م فى التجوال على نطاق واسع فى الجزيرة العربية والشرق الأوسط طلبا لشراء الخيول العربية من البدو، ومن على باشا شريف فى مصر . نقلت أن بلنت هى وزوجها جيادا أصيلة إلى بريطانيا منها الجواد المسمى الأزرق، ودجانيا ، والفرس ملكة سباً, والحصان رودانيا، كما نقلا إلى إنجلترا أيضا حصان على باشا شريف المسمى مسعود Masaoud. وإلى يومنا هذا فإن السواد الأعظم من الخيول الأصيلة يرجع نسبها إلى واحد من الأفراس أو الخيول العربية سالفة الذكر"(ان بلنت، 2007، ص20). وعموما فإنه: "في بريطانيا حتى في القرن الثامن عشر، كانت الخيول تمرح مرحاً بريا على مدار العام في السبخات والمستنقعات التي لا توجد فوقها أحراج إلا بشكل جزئي. وكان عليها أن تنجو من الجليد والثلج بقدر ما يمكنها ذلك

حيث كانت تستخرج العشب بحوافرها حتى يتسنى لها أن تأكل.. ويمكن رؤية المشهد نفسه في البيارن أو في الصفوح الوسطى لجبال البرانس، إن الحصان المسمى بال: Navarrin كان يتكاثر هنا دون أن يبالي بذلك أي صاحب، والحال أن هذه الحيوانات الصغيرة، القوية السريعة والرشيقة كانت تستخدم بمجرد ترويضها في أغراض الصيد أو في سلاح الفرسان الخفيف، وذلك على نطاق واسع بحيث أن انتهاء حروب لويس الرباع عشر قد وجه ضربة خطيرة للسلالة لم تفق منها قط ... وفي أغسطس، آب 1843 اكتشف فيكتور هيغو عند ترحاله في الكوتيريه هذه الجياد واستخدم أحدها لركوبه، حيث وجده غريبا وأصيلا، كتب يقول: إن جياد الجبل هذه صبورة ورقيقة ومطيعة بشكل يدعو إلى الإعجاب.. وبوسعها أن تمشي على طول حافة المهاوي العميقة. إنها تمشي برقة وذكاء كالقطط تماما"(برودل، 2000، ص85-86).

وملخص القول، إن الشعوب الأوروبية لم تكن تمتلك زمن الحضارة الإسلامية أية مقومات لرعاية وإنتاج الخيل بالمعنى الذي عرفه المسلمون قبلا، ناهيك عن كون مزارع استيلاد الخيول التي عرفتها أوروبا فقط بِدءًا من القرن 15 فقط، كانت تعتمد بطريقة أو بأخرى على الخيل العربي سواء من أجل تدجينها بخيول أخرى، أو الإبقاء على صفاء عرقها، فالأرستقراطية الإنجليزية الليدي آن بلنت (Anne Isabelle Noel Blunt) ذاعت شهرتها: "بريطانيا كمربية للخيول العربية إذ حرصت وولفرد (كنية زوجها: Wilfrid) على اقتناء خيول .من السلالات العربية الأصيلة التي هم تربيتها وتكاثرها فى ضيعة كرابيت بارك وتصدير بعضها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وعندما آلت المزرعة إلى ابنتهما جوديث قامت بتهجين الخيول العربية بالخيول البولندية وأنتجت سلالة جديدة اشتهرت فى أوروبا وأستراليا وأمريكا"(آن بلنت، 2007، ص16). ناهيك عن غيرها من الوسطاء والدول التي كانت تعمل على نقل العِرق العربي إلى أوروبا تحديدا، حيث نجد أن: "الجيش الفرنسي؛ في سعيه إلى تزويد وحدات فرسانه بالجياد كان مضطراً إلى شراء الآلاف منها من ألمانيا ومن الكانتونات السويسرية والتى كانت تلعب دور وسيط لأماكن أبعد فى اتجاه الشرق. وقد استمر هذا الاعتماد على الخارج حتى القرن التاسع عشر"(برودل، 2000، ص166). وفي عصرنا الحالي مثلا نجد أنه: "بعد وفاة آن بلنت آلت المزرعة إلى إبنتها جوديت: "بقيت زرعة كرابيت لتربية واستيلاد الخيول طوال خمسين عامًا

أي بالأحرى إلى العام 1971، عندما ...قامت جوديث ببيع هذه الخيول فى سائر أنحاء العالم , بما فى ذلك الولايات المتحدة , وأستراليا , وروسيا . الحصان الماره Al-Marah في أمريكا : وكذلك الحصان فنويك Fenwick فى أستراليا يرجع أصلهما إلى الخيول التى باعتها جوديث. فى السبعينيات تدهور حال سلالات مزرعة كرابيت... مع ذلك لأن نجد أن أكثر من 90 % من الخيول العربية المسجلة فى الولايات المتحدة على سبيل المثال ترجع سلالاتها إلى خيول مزرعة كرابيت لتربية واستيلاد الخيول"(آن بلنت، 2007، ص22).

بناء على ما قلناه سابقا، فإننا نجد بأن فرضيتنا الثانية صحيحة والتي مفادها:

تطور الفروسية زمن الحضارة الإسلامية بطريقة لا تقارن بالشعوب الأخرى آنذاك.

5. خاتمة:

بعد استقصاء ونقد ومناقشة لِكَمّ المعلومات التي تزخر بها المؤلفات الغربية والعربية على حد سواء في موضوع الفروسية وسباق الخيل توصلت الدراسة الموالية بعد اعتمادها على المنهج الوصفي والتاريخي إلى صحة فرضياتنا وهي كالآتي:

1. منظور العالم الغربي نمطي وسلبي اتجاه الفروسية في العالم العربي والإسلامي.
2. تطور الفروسية زمن الحضارة الإسلامية بطريقة لا تقارن بالشعوب الأوروبية آنذاك.

ووفق ما توصلت إليه هذه الدراسة، وما ذكرناه آنفا فإن ما توصلنا إليه يُفَسَّرُ من جهة بـ: سيطرة الإعلام الغربي على منظومة التأليف منذ القرن 15 م، فأغلب المؤلفات التي تصلنا لحد الساعة بما فيها المؤلفات العربية كانت ولايزال الكثير منها مبهما وغير معروف لدى العالم العربي، خاصة إذا علمنا كم المؤلفين والفلاسفة والمفكرين والمستشرقين الذين نهلوا من علوم الحضارة الإسلامية، وناهيك عن آلاف المؤلفات التي فُقدت من مكاتب العالم العربي عقب الإستعمار الذي شَمَل كافة أقطار العالم الإسلامي من المحيط إلى الصين. ومن جهة ثانية، فإن الفروسية التي نعرفها اليوم من العالم الغربي ويسيطر عليها هذا الأخير، كانت زمن الحضارة الإسلامية في أوجها، بل إن رياضة البولو التي تتميز بها بريطانيا كانت رياضة في بلاد فارس وخلال الحضارة الإسلامية

خاصة في عصر المماليك، والقوانين والتشريعات التي نعرفها اليوم، والتي تضبط هذه الرياضة لا تقارن بتاتا بكم القوانين والتشريعات و النظم التي عرفتها هذه الرياضة بالذات عند المسلمين، إذ نجد مؤلفات المحدثين والفقهاء والأئمة لطالما تحدثوا بالتفصيل عن السبق بالخيل وشروطه وماهيته وضوابط ممارسته...إلخ.

إن هذه الدراسة على تشعبها وصعوبة النهل من مصادرها التاريخية بالدرجة الأولى، فإنها استطاعت إلى حد ما أن تنقل عديد الأفكار عما ينقله الغرب في مؤلفاتهم ومصادر توثيقهم التي نعتبرها نحن بطريقة أو بأخرى مصدر جميع معارفنا، ففي رياضة الفروسية وسباقات الخيول نجد أن القلة القليل من المؤلفين الغربيين ممن أنصفوا الحضارة الإسلامية وما قدمته لهذه الرياضة بالذات، بل إن العرب والمسلمين وفق مؤلفاتهم لطالما يرتبط إسمهم بالبداوة والجِمال، ويتم إقصاؤهم من هذه الرياضة التي للأسف لايوجد في وقتنا المعاصر أي بوادر لرجوعها إلى أحضان المسلمين مجددا. وعلى هذا الأساس فإن دراستنا هذه تنوه بالإقتراحات الآتية:

1. وجوب إجراء دراسات مستفيضة عن موضوع الفروسية وسباقات الخيل، والتي من خلالها يمكن تطوير هذه الرياضة في العالم العربي.
2. التنويه بالمؤلفات التي تزخر بها الحضارة الإسلامية في مجال الفروسية، السبق، البيطرة...إلخ، وهي المواضيع التي يستوجب على الباحثين البحث فيها لإظهارها للقارئ العربي بدرجة أولى.
3. ضرورة أخذ الباحثين العرب والمسلمين في ميدان التربية البدنية والرياضية بما تتضمنه فلسفة النشاط البدني في الحضارة الإسلامية والتي تعد توجها يفتقده الكثير من طلبة التخصص.
4. وجوب استبدال المنظور الغربي عن العالم العربي في موضوع الفروسية وغيرها من المواضيع، وهو الأمر الذي لا يتأتى إلا من خلال اكتشاف وتقصي آراء الغرب اللامتناهية في مؤلفاتهم عنا خاصة في المجال الرياضي، من أجل ترجمتها أولا وتبيانها للقارئ العربي ثم نقدها وإظهار حقيقتها للعالم الغربي.

6. قائمة المراجع:

الكتب العربية:

1. البيطار أبي بكر بن بدر الدين، كامل الصناعتين في في البيطرة والزردقة المسمى بـ: الناصري، تحقيق: عبد الرحمن إبريق، ج1، معهد التراث العلمي العربي، منشورات جامعة حلب، سوريا، 1993.
2. الجيدة صلاح محمد، الخيل رياضة الآباء والأجداد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، الدوحة، قطر. 2007.
3. السامرائي خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2000.
4. العبادي أحمد مختار، صور من حياة الحرب والجهاد بالاندلس، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2000.
5. العيدروس محمد حسين، العصر الأندلسي 'تاريخ العرب في بلاد الأندلس'، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2012.
6. آن بلنت، الحج إلى نجد 'مهد العرق العربي'، ت: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمةط1، ج1، عدد: 1128، القاهرة، مصر، 2007.
7. برودل فرنان، هوية فرنسا، م2، ج2، ت: بشير السباعي، المركز القومي للترجمة، عدد:158، القاهرة، مصر، 2000.
8. بريانت بيير، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية من قورش إلى الإسكندر، ت: بيتر، تي، دانيلز، ط1، م2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2015.
9. بوركهارت جون لويس، ملاحظات عن البدو والوهابيين، ت: صبري محمد حسن، ط1، ج1، المركز القومي للترجمة، عدد: 1227، القاهرة، مصر، 2007.
10. دومينغيت وبرنارد، أورتيت، فينسينت، تاريخ الموريسكيين، ت: عبد العال صالح، ط1، المشروع القومي للترجمة، عدد: 1026، القاهرة، مصر، 2007.
11. لوبون غوستاف، حضارة العرب، ت: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012.
12. ويشو وإلن برنهارد ، إسبانيا العربية 'الأندلس'، ت: صفاء كنج، ط1، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2014.

الكتب الأجنبية:

1. Basil Tozer, The horse in history, Charles Scribner's Sons, New York, USA, 1908.
2. Huth Frederick Henry, Works on horses and equitation: a bibliographical record of hippology, Bernard Quaritch, , London, UK, 1887.
3. Roger Longrigg, The history of horse racing, Stein and Day Publisher, New York, USA, 1972.
4. XENOPHON, The art of horsemanship, translated by: Morris h. Morgan. little, brown, & company, Boston, USA, 1983.

الرسائل والأطروحات:

1. الجبالي صفاء محمد إبراهيم، الرياضة في إقليم كيرينايكي في العصر الإغريقي، رسالةماجستير، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة قار يونس، ليبيا، 2010.
2. المسيباوي فرح عبد الحميد عبد الحسين، التسلية والترفيه في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، العراق، 2020.